الـفـصـل الـسـابـع

طـــرد المـــلك فـــاروق

ثورة بلا ضحايا

انهارت القلاع واحدة وراء الأخرى فى ساعات, وكانت الخطة الأساسية لقيادة الضـــباط الأحرار تتضمن ثلاث مراحل..

www.anwarsadat.org

وكما قلت تمت مرحلتان من الثلاث بنجاح ساحق وفى ساعات..

وسيطر الضباط الأحرار على الجيش تماماً فى الصباح 23 يوليو عام 1952.

وسيطرت قيادتهم على البلد نفسها فى اليوم نفسه, فقد كان الشعب يترقب تلك الفرصة- فرصة العمر- وما كاد يسمع البيان الذى أعدته قيادة الضباط الأحرار من الراديو حتى وقف وراء القوات المسلحة مؤيدا ومنفذا لتوجيهات قياداتها الجديدة, فلم يقع حادث تخريب واحد, ولم تحدث فتنة..

لم يجد أعداء الجيش فرصة لإحداث شغب يعطل تنفيذ المرحلة الثانية من الخطة, وهى السيطرة على البلد..

لقد استيقظ وعى الشعب فى الحال بالرغم من أنه فوجئ بما حدث فى ذلك اليوم, وكان ذلك الوعى هو المظهر الحقيقى القوى لسيطرة قيادة الضباط الأحرار على البلد.. وكان معنى وقوف الشعب وراء أحداث 23 يوليو هو أن الشعب يريد ثورة.. يريد الخلاص..!

وكل شئ كان هادئاً فى البلاد.. لا دم ولا بارود.. لا قتلى ولا جرحى.. لم تنسف مدينة ولم تتزلزل الأرض تحت أقدام الناس..!

لقد كانت ثورة عجيبة, لم يشهد بلد من بلاد العالم التى تحررت مثيلاً لها.. كل ثورة كان لها ضحايا يعدون بالألوف وبالملايين إلا ثورة مصر..!

كل ثورة كان لا يمكن أن تتقدم خطوة إلا إذا فتكت طبقة بأخرى فتمضى فى طريقها فوق الأشلاء والدم والأنقاض.. إلا ثورة مصر.

كل ثورة كانت تنسف وتدمر وتقتل وتشيع الموت حيث تكون.. إلا ثورة مصر..!

إن كل شئ كان هادئاً فى مصر يوم الثورة..

لم يكن فى مصر غير الفرحة والآمال التى سطعت فى الصدور.

لم يخسر الشعب نقطة دم واحدة يوم 23 يوليو, وبالرغم من هذا مضت عملية تغيير نظام الحكم فى طريقها بنجاح وسرعة مذهلة, لا تكاد تصدق!

فهل حدثت تلك المعجزة التاريخية الكبرى لأن الثورة العربية المصرية ليس لها أعداء..!؟

لا أحد يمكنه أن يزعم هذا, فلم توجد الثورة التى لا أعداء لها..

فكيف إذن لم تحدث مجزرة..!؟

كيف لم تغرق الدماء الشوارع, وكيف لم يقتل مواطن واحد من أبناء البلاد, الذين يريدون التحرر..!؟

كل مواطن كان يجلس فى بيته أو فى عمله أو فى المقهى.. كل الشعب كان هادئاً ساكنا ونظام الحكم يشهد أخطر تطور منذ ثلاثة آلاف سنة..!

فما هو السر؟.. لماذا تكون الثورة المصرية العربية هى وحدها التى تتم هكذا فى هدوء, وبلا مجازر فى الشوارع وفى الحقول؟

لماذا أخذت الثورة المصرية العربية هذا الشكل السلمى العجيب!

إننى هنا أقول مرة أخرى إن السبب فى هذا هو أن أعداء الثورة المصرية العربية كانوا يحكمون الشعب بواسطة القوات المسلحة, ثم فجأة ثارت القوات المسلحة على هؤلاء الأعداء بعد أن أصبح لتلك القوات قيادة جديدة..

فكان على هؤلاء الأعداء أن يستسلموا أو يبادروا, فلا قوة هناك يمكنها أن تحميهم.. لم يعد معهم جيش ولا شعب!

هكذا بدأت عملية تغيير نظام الحكم, وهكذا مضت فى طريقها بعد 23 يوليو!

أبواب التاريخ

قلت لم يبق بعد السيطرة على الجيش والبلاد إلا مرحلة واحدة ثم تبدأ الثورة المصرية تحقق أهدافها, لم يبق إلا طرد الملك...

وجلسنا فى مبنى القيادة, بعد أن أعد "عبد الحكيم" البيان الذى سيذاع على الشعب فى صباح 23 يوليو, وكنا فى تلك اللحظات قد اطمأنت قلوبنا على الحالة تماما, وكان اللواء "نجيب" قد عرف أن الجيش قام بثورة بعد أن سأل "جمال" عن الحكاية فرواها له, وأخبره أن الضباط

الأحرار قد سيطروا على الجيش, ثم طلب منه أن يحضر فورا إلى مبنى الرئاسة وأرسل له سيارة لتعود به..

وفى اللحظة الأولى التى وطأت أقدامه فيها مبنى رئاسة الجيش, كانت أبواب التاريخ كلها قد فتحت على مصاريعها أمامه.. كان قد أصبح زعيماً, وهو الذى كان لا يعلم.

كان قبل حضوره بلحظات يسأل "جمال" عن الحكاية, لأن "المراغى" طلب منه تهدئة– الأولاد– الذين عملوا "دوشة" عند كوبرى القبة!

مناورة قبل طرد الملك

كانت خطتنا تقضى بأن نقوم بمناورة مع الملك, حتى تطمئن إلى أنه ليس هناك تدخل أجنبى يهدد مصالح البلاد.. وبعد أن نطمئن ننقض على صاحب الجلالة ونطرده..

وجلسنا نتكلم, وكان موضوع الحديث يدور حول رئاسة الحكومة, أو بعبارة أدق حول الرجل الذى نريد فرضه على الملك كرئيس لمجلس الوزراء, وكان "نجيب" لا يزال فى منزله.. لم يحضر إلينا بعد.. فهو قد حضر كما قلت فى الساعة الخامسة صباحا..

واستعرضنا أسماء رجال السياسة الذين يمكن أن نفرضهم على الملك رغما عنه!

ولم نكن نريد على الإطلاق واحدا من رجال الأحزاب, مهما كان موقفه من القصر, لأننا أردنا ألا نطبع ثورتنا بطابع حزب معين له مصالح تتعارض مع مصالح الشعب.. فالمسألة كما قلت كانت عملية تغيير كامل لنظام الحكم, ولم تكن مسألة حكومة من الحكومات!..

ورأينا أن "على ماهر" هو الرجل الوحيد الذى لا ينتمى لحزب من الأحزاب, وهو كان رئيس الحكومة التى تولت زمام الأمور بعد 26 يناير المشهور!

وبدأنا نعد تفاصيل المناورة قبل الانقضاض على الملك...

على ماهر رئيس مجلس الوزراء بدلا من "الهلالى" الذى كان موجودا فى الحكم حينئذ, فإذا خضع الملك لرأينا وجاء "بعلى ماهر" يمكن بعد ذلك أن نبعث به إلى الملك يحمل طلبات لنا– كما تقضى المناورة– فإذا رفض الملك طلباتنا كان ذلك إيذانا ببدء المعركة معه!

وبعد أن انتهينا من هذه المسألة, فتح باب الحجرة ودخل اللواء "نجيب".. قائد الثورة..

البحث عن عنوان "على ماهر"

وفى الساعة التاسعة من صباح 23 يوليو اتصل "نجيب الهلالى" بنا مرة ثانية, وحاول أن يتفاهم, وتحدث إليه "محمد نجيب".. وكنا من حول نجيب نهمس فى أذنه, بما يجب أن يقوله "للهلالى"..

وانتهت المحادثة ولم ينجح "الهلالى" فى إقناعنا بشىء...

ثم كلفنى الزملاء بالاتصال "بعلى ماهر" لنبدأ المناورة ثم تتم المرحلة الثالثة من خطة التنظيم.. أى طرد الملك..

ولم أكن أعرف عنوان منزل "على ماهر" ولا أحد فى الحجرة كان يعرف العنوان أيضاً.. وكان الصحفيون يفدون منذ الصباح المبكر على مبنى القيادة.. وفى هذه اللحظة التى كنا فيها نبحث عن عنوان منزل "على ماهر" دخل علينا الأستاذ "إحسان عبد القدوس".. وسألته على الفور هل يعرف منزل "على ماهر", ورحب "إحسان" بتوصيلى إلى المنزل.. وقمت معه على الفور..

هل هذه طائراتكم؟

وصعدنا إلى الدور الثانى فى المنزل, وجلسنا فى الشرفة فى انتظار "على ماهر" وجاء "على ماهر", وقبل أن يجلس قال لى إن عنده فى البيت– الآن– الأستاذ "إدجار جلاد", فهل يأتى به ليحضر المقابلة.. فقلت له:

– لا.. ما يجيش.. عايزين نقعد وحدنا..

وبدأت أتحدث إليه عن مهمتى.. قلت له إننى موفد من القيادة لكى تؤلف الوزارة..

وخيم الصمت علينا فترة قصيرة.. وانتظرت رد "على ماهر".. ولكنى شعرت أنه يريد أن يسمع كلاما أكثر.. وفى هذا اللحظة بالذات مرت أربع طائرات من ذوات الأربعة محركات فوق رؤوسنا, على ارتفاع قليل لدرجة أن أصواتها غطت على حديثنا فسكتنا إلى أن ابتعدت, وهنا التفت "على ماهر" وسألنى:

– الطيارات دى بتاعتكم؟

وأجبته مبتسما لأطمئنه:

– نعم, والقوات المسلحة كلها لا تخضع إلا لقيادتنا اليوم.. ومضيت أتحدث إلى "على ماهر" بصراحة.. تكلمت عن الفساد وعن الأوضاع الغريبة التى تمر بها البلاد, وعن الملك وتصرفاته الشاذة..

(وهنا شعرت بقدم "إحسان عبد القدوس" تدوس على قدمى.. وبدأ "إحسان" يزغدنى خلسة حتى لا أستمر فى الحديث بهذه الصراحة)

لكنى لم أتوقف.. ومضيت أتكلم بصراحة أكثر, حتى يفهم "على ماهر" وجهة نظر القيادة.. ثم عدت أقول لعلى ماهر إن القيادة تكلفه بتأليف الوزارة..

وقال "على ماهر":

– أنا مستعد أتعاون بشرط أن يكلفنى الملك بتأليف الوزارة!

وقلت له:

– تقدر تعتبر نفسك من دلوقت مكلفا بتأليف الوزارة فجهز نفسك من الآن..

ثم قلت له وأنا أهم بالانصراف:

– فيه طلبات الجيش عايز من الملك ينفذها فورا...

وقبل أن أنصرف قال "على ماهر":

– الزيارة دى ستبلغ للملك.. وأظن من الأحسن أبلغها أنا دلوقت "لإدجار جلاد" وهو موجود عندى!

وقلت له:

– تقدر تقول اللى تحب تقوله.. إحنا بنشتغل دلوقت على المكشوف وعلى فكرة "نجيب الهلالى" اتصل بنا النهاردة وعرف أننا رفضنا بقاءه فى الوزارة.. ولابد أنه بلغ رأينا للملك...

ثم غادرت منزل "على ماهر" إلى القيادة...

لقد بدأت المناورة مع الملك..

عم "ناريمان"

وجلست أروى تفاصيل ما دار وبين "على ماهر" للزملاء.. ثم جاء من يخبرنا أن "مصطفى صادق" عم "ناريمان" يريد مقابلة أحد من القيادة.

لقد جاء "مصطفى صادق" ليعرض علينا تعيين اللواء "نجيب" وزيرا للحربية.

وقال لنا "مصطفى صادق" أيضاً, إنه ما علينا بعد تعيين "نجيب" وزيرا للحربية إلا أن نذهب إلى قصر رأس "التين" ونقيد أسمائنا فى سجل التشريفات ثم ينتهى الإشكال!

وفوجئ "مصطفى صادق" برفض العرض الذى حمله إياه "فاروق"...

وقلنا له لابد أن يؤلف "على ماهر" الوزارة بلا مناقشات أو أخذ ورد.

ثم قلنا له ونحن نشيعه إلى الباب إن "على ماهر" سيحمل طلبات أخرى لنا إلى جلالة الملك..

وخرج عم "ناريمان" بعد فشله فى مهمته..

وكان البيان الذى أذعناه إكمالا لخطوات "المناورة" لا يتضمن سوى أن الجيش قام بحركته لتطهير صفوفه.. أى أن الحركة مقصورة على الجيش فقط..

كانت المناورة متشعبة وكان لابد لنا أن نأخذ حذرنا..

ومن أجل هذا لم نكشف كل أوراقنا يوم 23 يوليو.

الملك يطلب منا تأليف الوزارة

وبعد ظهر 23 يوليو جاء عم ناريمان إلى القيادة مرة ثانية, وكان يحمل عرضا جديدا من الملك...

قال لنا: إن جلالة الملك يعرض علينا نحن أن نؤلف الوزارة.

وشعرت بسخف الاقتراح, إلى حد أننا لم نحتمل وجود عم ناريمان معنا فى الحجرة فطردناه منها.. بدلا من توديعه كما فعلنا معه فى المرة الأولى.

ثم جلسنا نسخر من ذلك العرض العجيب وشعرنا فى تلك اللحظة أن المناورة قد بدأت تنجح.

وقد اتصل بنا "على ماهر" بعد خروج "مصطفى صادق" بقليل, وقال لنا: إنه تلقى الأمر تشكيل الوزارة.

ثم قال أيضا إن الملك طلب إليه أن يسافر فى الحال إلى الإسكندرية, وإنه- أى "على ماهر"- يريد مقابلتنا قبل أن يسافر, ليعرف وجهة نظرنا تماما, ثم يحمل طلباتنا بعد ذلك ليبلغها إلى صاحب الجلالة..

وقال "على ماهر" إن الملك قلق جدا ويريد أن يراه سريعا لكى يطمئنه.

جر شكل الملك

لقد كانت المسألة فى نظر الملك.. بل وفى نظر جميع الساسة المصريين فى ذلك اليوم, هى أننا نريد تطهير الجيش فقط من الخونة والأذناب.. كانوا يعتقدون أنها أزمة لا تلبث أن تحل, ثم تعود المياه إلى مجاريها.. يبقى الملك على عرشه ويبقى الجميع فى أماكنهم.. والشعب أيضا.. لقد كانت المناورة فى بدايتها..

كنا نجلس فى مبنى القيادة نعد خطة خلع الملك, والملك فى الإسكندرية ينتظر وصول "على ماهر" إليه ليطمئنه بعد أن تحل الأزمة بإجابتنا إلى طلباتنا...

وقد حددنا "لعلى ماهر" الساعة الخامسة والنصف فى مساء ذلك اليوم لنقابله فى منزله ونسلمه طلبات الجيش.. ثم بعد ذلك يسافر إلى الإسكندرية ليطمئن صاحب الجلالة...

وفى الموعد المحدد خرجنا من مقر القيادة.. "جمال عبد الناصر", و"محمد نجيب", وأنا, وتوجهنا إلى منزل "على ماهر".. وإكمالا للمناورة سلمنا "على ماهر" عريضة دونت فيها طلبات الجيش...

إننى أذكر أننا وقعنا فى ورطة عندما قال لنا "على ماهر" قبل أن نقابله: إن الملك فى انتظار طلباتنا.. فلم تكن فى رؤوسنا طلبات معينة, إن الشىء الوحيد الذى يملأ رأس كل فرد منا هو مسألة تغيير نظام الحكم.. أما طلبات الجيش من صاحب الجلالة فذلك شئ لم يخطر على بالنا إطلاقا..

إن الأحوال فى 23 يوليو كانت تترى بسرعة فائقة... لم نكن قد أعددنا أنفسنا لهذه الظاهرة العجيبة.. للسرعة الفائقة..

وأذكر أننا جلسنا نكتب طلبات على الورق كيفما اتفق.. كان لابد أن نمضى فى مناورتنا مع الملك إلى نهاية الشوط قبل أن ننقض عليه لنسقطه عن عرشه.

واتفقنا- بعد جهد- على أن تكون الطلبات التى سيتقدم بها "على ماهر" إلى صاحب الجلالة أساسها طرد الحاشية, فقد كنا نعرف أن الملك سيرفض هذا الطلب. وبهذا نكون قد نجحنا فى جر شكله, فتبدأ بعد ذلك عملية طرده.

وهكذا كتبنا طلبات من الشرق والغرب على الورق. كان أساسها كما قلت طرد الحاشية...

وبعد أن قابلنا "على ماهر" فى الساعة الخامسة سلمه "جمال عبد الناصر" تلك الطلبات, واستعد "على ماهر" للسفر على الفور, فطلبنا منه أن يخطرنا من الإسكندرية بالنتيجة, وقال له "جمال": إن المسئولية ستقع على الملك إذا لم تجب كل هذه الطلبات فى الحال...

وخرجنا من منزل "على ماهر" بعد أن تمنينا له سفرا سعيدا... خرجنا ليبدأ "جمال عبد الناصر" و "ذكريا محيى الدين" فى وضع تفاصيل خطة طرد "فاروق" وتجهيز القوات اللازمة للسيطرة على الإسكندرية وتأمينها...

تحرك القوات إلى الإسكندرية

قطعنا- فى المناورة- مع الملك شوطا بعيدا.. سافر "على ماهر" إلى الإسكندرية يحمل طلباتنا إلى صاحب الجلالة, وبعد أن أكد له "جمال" أن المسئولية ستقع على الملك فى حالة إجابته الطلبات كلها!

كنا نريد جر شكل صاحب الجلالة لكى نبدأ فى إسقاطه عن عرشه, وبذلك تتم المرحلة الثالثة من الخطة الأساسية..

وقد عدنا من منزل "على ماهر" فى مساء ذلك اليوم (23 يوليو) إلى مقر القيادة فى كوبرى القبة لنرقب الأحداث...

واللواء "نجيب" كان يجلس بيننا لا يدرى ماذا فى رؤوسنا...

كنا لا نشك فيه, ونعتبره واحدا منا وخاصة بعد أن فرضناه قائدا عاما للقوات المسلحة, وكان هذا العرض من بين الطلبات التى أرسلناها "لفاروق"...

وصحيح أنه لم يكن بيننا أحد قد اكتشف حقيقته بعد.. فهو يجلس بيننا كأنه فرد منا. وكنا نحن نحاول قدر ما نستطيع إفهامه بأنه القائد والزعيم وصانع كل هذه الأحداث التاريخية.. كنا قد قررنا أن نفنى جميعا فى شخصه...

قررنا أن نجعل منه, زعيما لهذا الشعب يقوده فى معاركه القادمة ضد جميع أعدائه.. أما نحن فقد اعتبرنا أنفسنا جنودا فى ثورة "نجيب"!

وانقضى يوم 23 يوليو, وجاء يوم الثورة الثانى, وكنا لا نزال على مقاعدنا فى مقر القيادة لم ننم ولم نسترح, والعرق يغرق ثيابنا, فالحر كان شديدا.. لكننا لم نشعر بالإرهاق على الإطلاق. كنا نعرف أن أمامنا ليالى أخرى سوف نقضيها ساهرين على مقاعدنا, وربما فى الشوارع وفى الحقول مع الشعب نخوض معركة دموية من أجل مصائر الملايين.

لم نكن نعرف– بالتحديد– ماذا سوف يحدث لنا فى اليوم الثانى للثورة, لأن الأحداث كما قلت كانت تترى بسرعة فائقة لم نتوقعها, والقلاع كانت تتساقط من تلقاء نفسها.

كل الذى كنا نعرفه أننا قد سيطرنا على القوات المسلحة وعلى البلد..

وبعد ذلك لتأت الأحداث بما تشاء من مفاجآت, فقد كنا على ثقة من أن عملية تغيير نظام الحكم ستتم اليوم أو غداً أو بعد شهر.. حتى لو ظهرت فى الأفق بوادر تدخل جهات أجنبية, فقد كان كل واحد منا قد أعد نفسه قبل أن يغادر بيته وأولاده لمعركة يخوضها.. وربما مات, وربما

فقد ذراعا.. المهم أننا جميعا كنا على استعداد للنزول إلى الشوارع والحقول وخوض حرب مدمرة ضد جميع الأعداء لو فكروا فى الوقوف أمام الثورة...

"جمال" يأمر بتحرك القوات

ووصل "على ماهر" إلى الإسكندرية, وقابل صاحب الجلالة على الفور وقدم له طلباتنا, وفى صباح اليوم التالى للثورة- يوم الخميس 24 يوليو- اتصل بنا "على ماهر" من الإسكندرية وقال إن صاحب الجلالة قد وافق على جميع طلباتنا!

وطلب "على ماهر" أن نوفد إليه أحد أعضاء القيادة إلى الإسكندرية ليخبره بالتفاصيل, ووقع الاختيار علىَّ لأقوم بهذه المهمة..

وحتى ذلك الوقت كان "على ماهر" لا يعرف ماذا نهدف إليه بالتحديد كان يعتقد حتى صباح الخميس 24 يوليو أن الأزمة انتهت بعد أن قبل الملك طلباتنا.. والمياه ستعود إلى مجاريها قطعا, وخاصة وأن الملك قبل أفدح تلك الطلبات بالنسبة له.. وهو طلب إبعاد الحاشية...

وإن كان قد قال "لعلى ماهر" إنهم- أى أفراد الحاشية- كأهل منزلى فكيف يتدخل الجيش فى شئون بيتى؟!

"على ماهر"- إذن- ظن الأزمة انتهت بعد أن تحدث إلينا بالتليفون, وأبلغنا بموافقة صاحب الجلالة على طلباتنا...

ولم يكن يعرف- مثلا- أنه بعد أن غادر القاهرة فى اليوم السابق- أى مساء 23 يوليو- لم يضع "جمال عبد الناصر" دقيقة واحدة, فجلس ومعه "ذكريا محيى الدين"- وكان فى ذلك الوقت مديرا للعمليات- وبدأ الاثنان يدرسان الموقف فى الإسكندرية واحتياجات عملية طرد الملك..!

درست فى تلك الليلة كل الاحتمالات...

كما أعدت فى نفس الليلة خطة السيطرة على الإسكندرية وتأمين مرافقها وانتهت الدراسة قبل أن يتصل "على ماهر" بنا فى صباح الخميس (24 يوليو) وأصدر "جمال" أمرا بتحريك قوة إلى الثغر.. وكانت القوة التى أمر "جمال" بتحريكها لإسقاط الملك وطرده عبارة عن لواء مشاة

وآلاى دبابات لتأمين المدينة, واعتبرت مدفعية قواتنا فى الإسكندرية ضمن القوة التى ستقوم بتنفيذ المرحلة الثالثة من الخطة... طرد الملك...

"على ماهر" يسأل... ما الداعى لهذا؟!

وبالرغم من أن اللواء "محمد نجيب" كان يجلس معنا فى حجرة واحدة, بل وحول مكتب واحد فى تلك اليوم, إلا أنه لا يشترك مع أحد فى إعداد أى شئ, فكل الخطط كانت معدة قبل أن يأتى إلينا وقبل أن يعرف أنه زعيم الشعب!...

وحتى التفاصيل كان يعدها "جمال" والزملاء وهم من حول "نجيب" ويبتسمون له فى احترام وثقة وهو صامت يترقب الأحداث!

وقد تحركت من القاهرة القوة التى ستسقط الملك فى ليلة 24 يوليو... أى فى نفس اليوم الذى قبل فيه الملك طلباتنا!

وقد فوجئ "على ماهر" والملك بهذا الذى حدث.. فوجئا بالطابور المسلح يدخل الإسكندرية وكانا قد اعتقد أن المياه ستعود إلى مجاريها بعد أن قبلت الطلبات!

وقوبل ذلك الطابور المسلح من الشعب فى الإسكندرية بالتهليل والهتاف الذى شق عنان السماء...

وكما حدث فى القاهرة صباح 23 يوليو حدث فى الإسكندرية... التف الشعب حول القوات المسلحة يؤيدها ويحتضن أفرادها, ويجرى خلف المصفحات فى الشوارع بعد أن غمرته الفرحة..

وبعد أن أخذت قواتنا فى الثغر أماكنها طبقا للخطة, اتصل بنا "على ماهر" مرة أخرى بالتليفون ليسألنا:

– ما هو الغرض من وصول تلك القوات؟.. ألم يوافق الملك على جميع طلباتكم؟!

وأردف "على ماهر" يقول فى التليفون:

– إن الملك قلق جدا منذ وصلت تلك القوات.. ويسأل ما هو الداعى لهذا, بعد أن أجابكم إلى ما تريدون؟!

وقلنا "لعلى ماهر"

– لا شئ.. لا شئ.. بالمرة.. طمئن مولانا, وقل له إن هذه القــوات أرســلناها لتــأمين الإسكندرية, ومنع الاضطرابات والحوادث!...

"نجيب" يطلب السفر معى...

وبقى التنفيذ...

متى تبدأ العملية؟!

إن قواتنا فى الإسكندرية, وقد اتخذت أماكنها والشعب من حولها يؤيدها ويهتف لأفرادها من الأعماق.. لا اضطرابات ولا حوادث...

كل شئ كان هادئا فى المدينة تماما مثلما كانت القاهرة يوم 23 يوليو...

وكان "جمال" قد كلفنى– كما قلت– بالسفر إلى الإسكندرية بعد أن تحدث إلينا "على ماهر" من هناك ليخبرنا بأن الملك وافق على الطلبات.

ثم طلب أن يسافر أحدنا إليه ليخبره بالتفاصيل...

وطلب "جمال" منى أن أؤجل سفرى إلى صباح الجمعة– 25 يوليو– حتى تكون قواتنا قد وصلت واحتلت أماكنها...

وقررنا عزل الملك يوم 25 يوليو...

وفى صباح الجمعة– 25 يوليو– طلب "محمد نجيب" أن يسافر معى إلى الإسكندرية, وكنا قد اتفقنا مع "على ماهر" على أننى أنا الذى سأقابله وحدى, فرفضنا طلب "محمد نجيب", لكنه ألح علينا بشدة لكى يسافر معى!

فوافقنا بعد أن لمسنا مدى تمسكه بتلك الرغبة, وبشرط ألا يحضر معى مقابلة "على ماهر" ساعة الوصول, وإنما يذهب لمقابلة "على ماهر" بعد الظهر, وهو يحمل الإنذار التاريخى المشهور, الموجه إلى الملك والذى نطلب منه فيه أن يتنازل عن العرش ويغادر البلاد...

"جمال" قال لى...

وكان علىَّ أن أغادر القيادة إلى المطار.. وقبل أن أغادر المبنى أخذنى "جمال عبد الناصر" إلى ركن من الردهة, وكان وجهه قد اكتسى بذلك الطابع المعروف عنه ساعة أن يقرر أمرا.. الصلابة والعزم القوى والإصرار التام.. وكانت فى يده سيجارة, وقال لى وهو ينفخ دخان سيجارته ورأسه قليلا إلى الأمام كعادته:

– شوف يا "أنور".. لازم نخلص من "فاروق" النهاردة أو بكرة بالكتير.. لأن الموقف ما عادش يحتمل!

ونظرت إلى وجه "جمال" وهو يكلمنى, وعرفت أنه يتحتم فعلا الخلاص من "فاروق" بأية صورة اليوم– الجمعة– أو غدا.. إن "جمال" لا يلقى الكلام جزافا.. فهو لا يقرر أمرا إلا إذا عرف أن لا مناص منه حتى لا تحدث كارثة!.

اليوم أو غدا.. لابد أن يطرد "فاروق".. لقد كانت المشاكل قد بدأت تطل علينا فى اليومين الماضيين.. والموقف لا يحتمل وجودها!

كانت مشاكل تهدد وحدتنا وتماسكنا.. ونحن لم نخلقها.. بل خلقها واحد لم نكن نتوقع على الإطلاق أن يظهر بيننا فى اليومين المذكورين إنه "رشاد مهنا"!.

زوبعة على أبواب القيادة!

كان "رشاد" فى العريش كما سبق أن ذكرت ذلك فى حينه.. وكان قد رفض أن يتولى قيادة لواء العريش عندما طلب منه ذلك "جمال سالم"..

وتخلى عنا أيضا كعادته حتى بعد أن عرف الحقيقة كلها.. وبعد أن عرف أن الضباط الأحرار قد سيطروا على الجيش تماما.. فى ليلة الثورة الأولى, وبعد أن وصلت العريش إشارة النجاح!

وعندما عرف أن الضباط الأحرار نجحوا تماما وأنه سوف لا يكون لـــه مكـــان علـــى الإطلاق بينهم, وخاصة وأن "جمال سالم" كلف "صلاح حتاتة" بقيادة لواء العريش.. أقول بعد أن عرف "رشاد" أن الثورة نجحت بدونه, جاء إلى القاهرة بلا إذن وتوجه من فـــوره إلـــى ســـلاح المدفعية– وقد كان تابعا له– وكان ضباط السلاح لا يعرفون شيئا عن موقفه ليلة الثورة.. كانوا لا يعلمون أنه رفض التعاون ورفض أن يشترك فى العملية.. وظن ضباط السلاح أن "رشاد مهنـــا" هو أحد أقطاب الثورة.. وربما أنه هو الذى قاد لواء العريش وسيطر عليه!

لهذا قابلوه بالهتاف ورحبوا به وحملوه على الأعناق.. ثم أركبوه سيارة وتقدموا الســـيارة بالموتوسيكلات, وجاءوا إلى القيادة بالبطل!

ورأينا موكب "رشاد مهنا" يدخل من باب القيادة.. وأمامه راكبوا الموتوسيكلات.. وكانت مفاجأة.. شعرنا على الفور أن زوبعة على الأبواب!

وكنا لا نستطيع أن نقول لضباط المدفعية أن هذا الرجل ليس واحدا منكم.. لـــم يشـــترك معكم فى عمل.. إنه رفض أن يعاونكم.

كان الموقف– إذن– حرجا للغاية ولا يحتمل أية خلافات.. فالملك لا يزال فى البلاد..

تلك كانت إحدى المشاكل التى أطلت علينا فى اليومين الماضيين وقررنا أن نلتزم الصمت حيالها لأن الموقف كما قلت كان لا يحتمل أية خلافات.. ومعركة "فاروق" على وشك أن تقع..

أما المشكلة الثانية, فقد كانت لا تقل خطورة عن مشكلة وجود "رشاد مهنا".. أعنى مشكلة الخلافات.

الإنجليز فى القاهرة

فقد كان هناك أناس فى البلد دفعهم الحرص الشديد.. وخوفهم الشديد فـــى يـــوم الثـــورة الأول.. وفى يومها الثانى, إلى أن يجيئوا إلينا ليقولوا:

– "فاروق" اتصل بفايد.. الإنجليز فى طريقهم إلى القاهرة..

وأقوال أخرى كان مصدرها الرعب والفزع مما سوف يقع.. وكنا نعرف أن هؤلاء الناس جبناء تفزعهم المعارك.. كنا نعرف أن ما يقولونه ليس صحيحا.. إلا أننا كنا قد قررنا أن نعد أنفسنا لكل الاحتمالات.. وأسوأها.

لهذا كانت طائرات سلاح الطيران المصرى طوال أيام 23, 24, 25 يوليو دائمة الحركة والاستكشاف فوق المناطق التى يحتمل أن يزحف منها الإنجليز على القاهرة.. إذا فكروا فى التدخل..

وكانت تقارير سلاح الطيران تصل إلينا فى مبنى القيادة ساعة بساعة تلك كانت المشاكل التى رأينا أن وجود "فاروق" يوما أو يومين أخرين سيضاعفها.

يا باشا.. قررنا عزل الملك!

وأعود إلى الموضوع.. فبعد أن كلمنى "جمال" قبل مغادرتى القيادة إلى الإسكندرية توجهت ومعى اللواء "محمد نجيب" إلى المطار, وانطلقت بنا الطائرة إلى أرض العملية.. إلى الإسكندرية.. وفى مطار النزهة وجدنا مندوب "على ماهر" فى انتظارنا.

وحسب الاتفاق توجه اللواء "نجيب" إلى القيادة فى مصطفى باشا, وتوجهت أنا مع مندوب "على ماهر" إلى رئاسة مجلس الوزراء فى بولكلى..

وقضيت ساعة ونصف الساعة مع "على ماهر".. سألنى عن القوات التى وصلت الإسكندرية مرة ثانية, وكانت الحيرة بادية على وجهه, ومضى يقول لى:

– الملك وافق على الطلبات كلها.. واستقالات أفراد الحاشية فى جيبى أهه.

وأخرجها من جيبه ليرينى إياها, وتظاهرت بالاهتمام فتناولت منه الاستقالات لأقرأها, ولفت نظرى توقيع إلياس اندراوس على استقالته, فقد وقع صاحبها عليها هكذا: "إلياس اندراوس" وبخط ردىء للغاية..

وهززت رأسى فى دهشة.. إن "إلياس أندراوس" كان أحد الذين يحكموننا نحن الشعب.. كان محسوبا علينا كمصرى ويؤلف الوزارات ويسقطها.. وهو لا يعرف كيف يكتب اسمه.. لا يعرف لغة البلاد التى ينتمى إليها..

وتنبهت على صوت "على ماهر" مرة أخرى وكان لا يزال حائرا.. وسألنى مرة ثانية عن حكاية القوات التى جاءت إلى الإسكندرية.

وفى هذه المرة اعتدلت فى مقعدى وبدأت أتحدث إليه فى الموضوع لأول مرة.. قلت لـــه وكان يبدو– وقتئذ– مذهولا للغاية:

– بصراحة يا باشا القيادة قررت عزل الملك "اليوم".

لا خيار لك, فالشعب مع الجيش!

وقبل أن يفيق "على ماهر" من ذهوله أردفت قائلاً له:

– اللواء "نجيب" سيجىء إليك فى الساعة السابعة وهو يحمل إنذارا موجها إلى الملك من القيادة: بتنازله عن العرش ومغادرة البلاد, وعليه أن يتحمل النتائج فى حالة رفضه لهذا الإنذار..

ومضيت أقول "لعلى ماهر":

– أنصحك– وأنت الذى ستتوجه بهذا الإنذار– أن تؤكد للملك أنه لا فائدة من المقاومة إطلاقا, لأن الجيش والشعب سيسحقان أية مقاومة مهما كانت والأوامر التى صدرت قاطعة فى هذا الشأن..

وكان "على ماهر" لا يزال فى ذهوله الشديد.. فاقتربت منه قائلا:

– أنت لا خيار لك فى هذا.. بل إننى أعتقد أنك مسئول عما أصاب البلاد إلى حد ما.. لأنك أنت الذى نصبته ملكا على البلاد فى دقائق عام 1936.

وهنا لاحظت أن "على ماهر" تحمس قليلا.. فقال:

– أنا نصبته فعلا ملكا على البلاد.. لكننى لم أكن أتصور أبدا أن يصل على يد مربيه "أحمد حسنين" إلى ما وصل إليه اليوم.. إنه هو الذى كتب بيده أفعاله ومصيره.

ومضى على ماهر يقول لى:

– لعلك أنت تعلم, ويعلم الناس, أن "فاروق" أبعدنى منذ إحدى عشرة سنة بتأثير من مربيه "أحمد حسنين" والحاشية.

وسكت "على ماهر" ثم عاد ينظر إلىَّ.. ربما ليتأكد من أن ما قلته له منذ لحظات هو الأمر الواقع.. وقمت لأؤكد له مرة ثانية أن لا خيار له فى الأمر فالشعب مع الجيش سيسحقان أية مقاومة.. وكان معه أيضا بولكلى إلى مصطفى باشا.. حيث كان "نجيب" هناك, وكان معه أيضا "ذكريا محيى الدين"– مدير العمليات– و"جمال سالم" و"حسين الشافعى" وأخبرتهم أن "على ماهر" مستعد لتلقى الإنذار فى الساعة السابعة من هذا المساء.

"ذكريا محيى الدين" يفاجئنا!

كان "ذكريا محيى الدين" فى تلك اللحظة منتحيا فى ركن من الحجرة وأمامه خريطة لمدينة الإسكندرية ثبت فوقها دبابيس عديدة, وفى كل دقيقة يدخل أحد الضباط الحجرة ليتلقى أمراً ثم يخرج.. و "ذكريا" كأنه غير موجود فى الحجرة.. لا يتحدث إلينا ولا يلتفت إلى أحد.. كان منهمكا فى "البحلقة" فى الخريطة, وفى تثبيت الدبابيس على أماكن متعددة فيها.. فقد كان مديرا للعملية..

وكتبنا صيغة الإنذار, ثم اتصلنا "بجمال عبد الناصر" فى القاهرة وأخبرناه بما تم حتى اللحظة بعد مقابلتى "لعلى ماهر".. ثم قرأنا له صيغة الإنذار الذى سيوجه إلى الملك فأقرها..

ثم اتجهنا بعد ذلك إلى "ذكريا محيى الدين" فى الركن الذى انتحى فيه بعيداً عنا فى الحجرة.. وسألناه متى تكون قواته جاهزة فى أماكنها المحددة لها حسب الخطة.. لكى نسلم الإنذار ثم تبدأ عملية طرد "فاروق"..

وفوجئنا "بذكريا" يقول فى هدوء:

– العملية لا يمكن أن تتم الليلة..

وذهلنا.. وسألناه فى صوت واحد:

– لماذا ؟!..

ثم بدأنا نتناقش.. وارتفعت أصواتنا لتنفذ من الجدران.

رصاصة رأس التين

كانت مفاجأة لم نتوقعها.. "فذكريا محيى الدين" أصر على رأيه وظل متمسكا بذلك الرأى ووجهه يبدو هادئاً للغاية, ونحن من حوله تكاد أصواتنا تبلغ حد الصراخ.

فبعد أن انتهينا من وضع صيغة الإنذار الذى سيوجه باسم القيادة إلى الملك, اتجهنا إلى "ذكريا" نسأله متى تكون قواته جاهزة؟..

وبهدوء تام أجاب:

– العملية لا يمكن أن تتم الليلة!..

تلك كانت مفاجأة "ذكريا محيى الدين" لنا فى ذلك اليوم.. 25 يوليو فهو كان مديراً للعمليات, وهو الذى كان مسئولا عن تحركات القوات فى الإسكندرية أثناء قيامها بعملية طرد "فاروق".

وقال لنا "ذكريا" إن القوات لم تنل قسطها من الراحة, وبعضها وصل إلى المدينة متأخراً, وهو لا يستطيع أن يخوض معركة بجنود متعبين, وقال إن القوات بعد أن تستريح وتنال وجبة ساخنة, يمكن أن تبدأ المعركة على الفور!..

وقلنا له: إن مسألة التعب والإرهاق هذه لا يصح أن نسلم بها, لأننا جميعاً لم ننل أى قسط من الراحة طوال ثلاث ليال.. ولا نزال نقف على أقدامنا متحفزين لخوض هذه المعركة.. وغيرها!..

وبهدوء أيضاً أجاب "ذكريا":

– ما ليش دعوة بيكم.. لكن قواتى لابد أن تستريح, وكل شئ حيكون جاهز بكرة الساعة الثامنة صباحا.

ولم يفلح أحد منا فى إقناع "ذكريا", لكى يبدأ فى تنفيذ العملية اليوم (25 يوليو).

وسلمنا الأمر لله.. ثم اضطررت إلى الاتصال "بعلى ماهر" فى بولكلى, لكى أخبــره أن موعد الساعة السابعة مساء قد تأجل إلى التاسعة من صباح اليوم التالى.

وذلك الموعد كنا قد حددناه "لعلى ماهر" لكى نقابله فيه ونسلمه الإنذار التاريخى الموجــه إلى الملك "فاروق" من القيادة بالتنازل عن العرش ومغادرة البلاد..

إعدام "فاروق"

وقضينا ساعات الليل فى مناقشات عنيفة..

إن "جمال سالم" يصر على ألا يخرج الملك حيا من البلاد, إنه يرى محاكمته جــزاء مــا اقترف من جرائم فى حق الشعب وهى جرائم يستحق من أجلها الإعدام..

وظل جمال سالم مصراً على رأيه هذا.. وكنت قد قلت رأيى فــى الموضــوع وهــو أن محاكمة "فاروق" سوف تستغرق وقتا, ونحن نريد التخلص منه فى أقرب وقت, اليــوم أو غــدا.. ويكفى أن يخرج من مصر ثم تطوى صفحته ولا حاجة إلى نبقيه فى البلاد إلى أن يعدم, فالأحداث يمكن أن تفاجئنا وتأخذنا على غرة..

وظلت المناقشة دائرة بيننا فى القيادة "بمصطفى باشا" تلك الليلة حتى بلغت الساعة الثانية صباحا, وهنا قررنا عرض موضوع- مصير "فاروق"- على الزملاء بقية أعضاء القيــادة فــى القاهرة.

فالهيئة التأسيسية للضباط الأحرار يمكنها أن تجرى عملية اقتراع حول المسألة.. وسواء صوت أعضاؤها ضد اقتراح "جمال سالم" أو أيدوه فالمسألة حينئذ تصبح أمراً واقعاً..

واستقل "جمال سالم" طائرة فى تلك الساعة وطار بها إلى القاهرة, ليأخذ الأصوات حول مصير "فاروق".. ثم عاد إلينا فى الساعة السابعة من الصباح ومعه رأى بقية الزملاء.

وكانت الأصوات التى اشتركت فى حسم ذلك الخلاف هى: تسعة أصوات فقــط.. وهــم أعضاء الهيئة التأسيسية, واللواء "محمد نجيب" لم يكن عضوا فى الهيئة فلم يكن له صــوت فــى عملية الاقتراع.

وقد رجح الزملاء كفة الرأى القائل بإخراج "فاروق" من البلاد دون محاكمة.. لأن المسألة- كما قلت- كانت تحتم الخلاص منه فى ساعات قبل أن تحدث مفاجآت!

وقد علمت من "جمال سالم" بعد عودته من القاهرة أن "جمال عبد الناصر" اتصل "بعزيز المصرى" فجر ذلك اليوم- 26 يوليو- وأخذ رأيه فى الموضوع.

مستشار السفارة الأمريكية يسأل ؟!

وفى الساعة السادسة من صباح- 26 يوليو- كان "ذكريا محيى الدين" يرأس مؤتمرا من ضباط جميع القوات الموجودة فى الإسكندرية وشرح لهم واجباتهم ثم أصدر إليهم الأوامر النهائية.

وبعد نصف ساعة تحركت القوات, ثم احتلت مراكزها قبل الثامنة صباحاً..

وفى الساعة التاسعة توجهت مع اللواء "نجيب" إلى رئاسة مجلس الوزراء فى بولكلى لتسليم "على ماهر" الإنذار الموجه إلى الملك.. وقبل أن نصل إلى مكتب رئيس الوزراء قابلنا مستشار السفارة الأمريكية فى الردهة, وكان المستشار الأمريكى فى حالة يرثى لها.. كان يرتعش, وكان فقد السيطرة على أعصابه تماماً.. وقال موجها حديثه إلينا:

- أنا قادم الآن من رأس التين, إن هناك معركة.. وأردف المستشار الأمريكى قائلاً وهو يرتعش:

- ما سبب هذا؟.. إن الملك فيما نعلم قد أجاب كل طلبات الجيش, وأريد تفسيرا لهذا الذى يحدث الآن عند رأس التين, ويهمنى أن أطلب باسم "واشنطن" ما يفيد تأكيد, سلامة "فاروق" الشخصية.

وصمت المستشار الأمريكى, ثم نظر إلينا فى حيرة..

وقال له اللواء "نجيب":

- إننا قادمون الآن للتفاهم مع رئيس الوزراء فى هذا الموضوع وتركنا مستشار السفارة الأمريكية لندخل مكتب "على ماهر".

"على ماهر" ظن أن الجيش تراجع

وبعد أن صافحنا رئيس الوزراء, مددت يدى فى جيبى وبحركة مسرحية أخرجت "الإنذار" من حافظتى وقدمته إلى اللواء "نجيب" فسلمه هو بدوره "لعلى ماهر".. وكان الإنذار من صورتين, وقع "على ماهر" على إحداهما بتسلم الصورة الأصلية.

ورأيت "على ماهر" يلتفت وفى عينيه تساؤل واضح, ولم يكن قد بدأ يقرأ الإنذار وفهمت فى الحال أنه يريد أن يعرف إن كان هذا هو "الإنذار" الذى حدد مصير "فاروق"؟!

ويبدو أن "على ماهر" كان قد اعتقد أننا تراجعنا عن مسألة طرد "فاروق" وخاصة بعد أن تأجل ميعاد مقابلتنا له من السابعة مساء إلى اليوم التالى!

وقد أومأت برأسى "لعلى ماهر" وكأنى أقول له.. نعم.. هذا هو الإنذار بعينه!..

وبدأ "على ماهر" يقرأ الإنذار, ثم التفت إلينا قائلاً بعد أن انتهى من قراءته:

– هذا هو ما يستحقه فكثيراً ما نصحته ولم يستمع أبداً إلى نصحى وغادرنا مكتب "على ماهر".. وخرج هو معنا فى تلك اللحظة ليتوجه إلى الملك ويسلمه الإنذار.

وكان الملك قد استدعاه فى صباح ذلك اليوم, وقبل أن نقابله, وذلك عندما شعر بـــالقوات وهى تقيم حصاراً حول سراى رأس التين.

وقبل أن يستقل "على ماهر السيارة لتتجه به إلى رأس التين قلت له وأنا أهمس فى أذنه:

– إن كنت ترى أنك فى حاجة إلى حضورى معك فأنا مستعد ولكنه قال: "لا داعى لذلك فى هذه الخطوة".

ومضت به السيارة إلى الملك.. ليسلمه إنذارا من القيادة يقضى بأن يتنازل عن عرشه فى تمام الساعة الثانية ظهراً. ويغادر البلاد فى السادسة من مساء نفس اليوم.. وإلا!..

المدافع لهدم رأس التين

وكانت القوات التى تقرر اشتراكها فى عملية طرد "فاروق" قد أقامت حصاراً على سراى رأس التين وسراى المنتزه, وفى نفس اللحظة كانت هناك قوات فى القاهرة تحاصر قصرى عابدين والقبة.

وحول سراى رأس التين, حيث كان الملك هناك, كانت القوات المحاصرة تتكون من مشاة وعربات مصفحة ومدفعية. وقد احتلت المدفعية منذ الصباح الباكر موقعاً يتحكم فى سراى رأس التين, بحيث يمكن هدمها إذا ما استدعى الأمر ذلك..

المعركة التى حطمت الملك

وكان على قوات المشاة أن تقدم لحصار السراى غير أن الأوامر التى صدرت لقائد تلك القوات كانت تقضى بعدم الاشتباك مع قوات حرس السراى إلا بأمر من القيادة.

وأثناء تقدم تلك القوات لإتمام الحصار خارج الأسوار حدث أن صعدت قوات الحرس إلى الأبراج فوق تلك الأسوار, وراحت تنصب عليها مدافع "الماكينة" لاعتقادهم أن القوات المتقدمة ستهاجم السراى فى الحال, وواجبهم يقضى بالدفاع عنها.. فهم كانوا لا يعلمون شيئاً.

وتنبه قائد القوات المتقدمة لحصار السراى, وكان قد تعدى نطاق الحصار المعين له فى "العملية".. ورأى قائد القوة المدافع والحرس ينصبها فوق الأبراج, فنادى جنود الحرس وهو يأمرهم بالانسحاب...

وكانت تبدو على وجوه جنود الحرس الحيرة الشديدة, كانوا ينصبون المدافع فوق الأبراج وهم ينظرون إلى إخوانهم جنود المشاة, وهم خارج الأسوار, وكانت تلك النظرات فيها أبلغ آيات القلق والاضطراب.. فهم لا يستطيعون أن يفتحوا مدافع الماكينة على إخوانهم هؤلاء.. وفى نفس الوقت واجبهم يحتم عليهم الدفاع عن السراى, لأنه لا توجد أوامر جديدة قد وصلتهم, حتى يمكنهم أن يتخذوا موقفاً مختلفاً.

وفى هذه اللحظة وبعد أن نادى قائد القوة جنود الحرس يأمرهم بالانسحاب خرجت رصاصة- طائشة- من مدفع كان أحد الجنود ينصبه فوق البرج.. ويبدو أن الرصاصة خرجت خطأ من شدة ارتباك الجندى, وفى الحال لم تجد قواتنا بدا من إسكات المدفع الذى انطلقت منه

الرصاصة ولا أحد كان يعلم ساعتها أن تلك الرصاصة خرجت خطأ وفتحت النيران على البرج الذى انطلقت منه الرصاصة, وفعلاً سكت المدفع بعد أن أصيب سبعة من جنود الحرس ولم يصب أحد من القوات التى حول الأسوار.

تلك كانت المعركة التى أفزعت مستشار السفارة الأمريكية, ولم تفزعه هو وحده بل وجعلت "فاروق" يفقد أعصابه ويتهاوى كالحطام...

"فاروق" يستنجد بالسفير الأمريكى!

ويقول "على ماهر" إن تلك المعركة الصغيرة كان لها وقع الصاعقة على "فاروق" والحاشية, فما كادت الطلقات تتابع حول السراى حتى اعتقد "فاروق" أنه ميت لا محالة.. ولم يتمالك نفسه فأصيب بحالة- هيستيريا- وأسرع بطلب "على ماهر" فى فندق "سان ستيفانو".. فلما وجده لم يستيقظ بعد, ظل يصرخ فى التليفون طالبا من إدارة الفندق إيقاظه فى الحال.. وفعلاً استيقظ "على ماهر" وكلم الملك, فسمعه يتحدث بصوت ضعيف مشوب بالذعر وهو يطلب حضوره.

وفى نفس الوقت استنجد "فاروق" بالسفير الأمريكى, وأرسل السفير سكرتيره الخاص, ثم بعد ذلك أرسل لنا مستشار السفارة.

كانت معركة فاصلة.. ما فى ذلك شك بالرغم من بساطتها, وهى إن دلت نتائجها على شئ فإنما تدل على أنه لا توجد قوة- مهما كانت- يمكنها الصمود أمام تكتل الجيش والشعب.

فما كادت تلك المعركة تنتهى بهذا الوضع الذى ذكرته حتى خرج من السراى اللواء "عبد الله النجومى" ومعه أربعة ضباط من الحرس, وقالوا لقائد القوة المحاصرة إنهم يريدون الذهاب إلى القيادة فى "مصطفى باشا" للتفاهم.. وجاءوا إلى القيادة فعلاً.. وكانوا فى حالة عصبية مروعة, فحجزنا هناك.. لتستريح أعصابهم.. فهم كانوا لا يعرفون شيئاً ولا يعلمون ماذا فى الأفق!

"فاروق" طلب استثمار ثروته!

واتصل بنا "على ماهر" وقال لنا: إن الملك قد خضع للإنذار وطلب منا "على ماهر" أن نوافيه فى "بولكلى", لنشترك معه فى وضع صيغة وثيقة تنازل الملك عن العرش وأيضاً لكى يعرض علينا الملك الأخيرة بشأن سفره.

وتوجهنا إلى "بولكلى" مرة أخرى- "محمد نجيب" و"جمال سالم" وأنا- ووجدنا "سليمان حافظ" جالسا مع "على ماهر", ثم أرسل يستدعى "السنهورى" لإعداد صيغة التنازل, وفى هذه الأثناء عرض علينا "على ماهر" طلبات الملك بشأن رحيله وهى:

- أن يسمح له بالسفر فى المحروسة ويتولى قيادتها "جلال علوبة".
- أن يجرد كل شئ فى السرايات الملكية ثم يضاف ما فى تلك السرايات إلى ثروته, وأن تجمع ثروته مع ثروة شقيقاته وتستثمر لحسابهم أو تقسم عليهم.
- أن يسمح لهم باصطحاب "بوللى" و"حلمى حسين", وإن لم يكن هذا ممكنا فيسمح "لبوللى" فقط بالسفر معه.

تلك كانت طلبات "فاروق" الثلاثة, وقد وافقنا على الطلب الأول فقط, ورفضنا باقى الطلبات بلا مناقشة.

ولم يكن "لفاروق" خيار فى الأمر, فقد كان ينفذ كل ما يطلب منه بلا تردد, بعد أن أصبح كل ما يأمل فيه هو أن يخرج حيا من هذه البلاد.

كان قد اقتنع بأنه لا توجد قوة- مهما كانت- يمكنها أن تحميه من الجيش والشعب.. فتهاوى من تلقاء نفسه وبلا مقاومة...

إرادة الشعب

وكتب "السنهورى" و"سليمان حافظ" صيغة التنازل- الأولى- وعرضت تلك الصيغة علينا ولكن "جمال سالم" اعترض بشدة.. فلم تكن الصيغة تتضمن السبب الأساسى الذى حتم على "فاروق" أن يتنازل عن عرشه.. فلم يكتب فيها نزولاً على رغبة الشعب.

وكتب "جمال" الصيغة النهائية والتى وقع عليها الملك نزولا على رغبة الشعب.

وأخذ "سليمان حافظ" الوثيقة وتوجه إلى رأس التين ليوقع الملك المخلوع عليها.

وخرجت أنا لأتوجه إلى رئاسة البحرية المصرية, كى أتفق هناك على خروج "المحروسة" لتحمل "فاروق" إلى حيث يشاء, وأيضاً لكى أخلى سبيل أمير البحر "جلال علوبة" الذى كان ممنوعا من مغادرة مكتبه.

وفى طريقى رأيت "سليمان حافظ" واقفاً مع الضابط الذى كان يرأس قوة حصار رأس التين, وكان الضابط قد منعه من دخول السراى, وطلبت من الضابط أن يتركه وأن يرافقه إلى الباب الخارجى للسراى وظل الضابط معه حتى فتحوا له الباب..

وتوجهت أنا بعد ذلك إلى رئاسة البحرية.. وهناك فوجئت بما لم يكن فى الحسبان!..

المحروسة وضباط البحرية والسواحل

تركت "سليمان حافظ" بعد أن فتحوا له باب سراى رأس التين, وكان يحمل وثيقة تنازل "فاروق" عن العرش ليوقعها صاحب الجلالة ثم يرحل بعد ذلك عن البلاد.

ثم توجهت إلى رئاسة البحرية لأعطى تعليمات بخروج "المحروسة" لتحمل "فاروق" إلى منفاه, وأيضاً لكى أخلى سبيل أمير البحر "جلال علوبة" الذى أراد "فاروق" أن يتولى هو قيادة المحروسة فى رحلتها.

وكان أمير البحر المذكور ممنوعا من مغادرة مكتبه فى ذلك الوقت.

وهناك فى رئاسة البحرية فوجئت- كما سبق أن قلت- بما لم يكن فى الحسبان!..

فما كدت أصل إلى الرئاسة حتى جلست مع قائد البحرية وكان معنا رؤساء الفروع, وأخبرتهم بقرار القيادة الذى يقضى بخروج المحروسة لتحمل "فاروق" إلى المنفى.. وما أن سمعوا ذلك منى حتى قالوا لى إنهم يتوقعون نسف المحروسة أثناء خروجها إلى عرض البحر!

وقبل أن أفيق من دهشتى مضوا يقولون لى: إن مراكب الأسطول المصرى كلها واقفة فى الميناء- الآن- جميعها محملة بالذخائر, وهم لا يستبعدون أن تطلق إحدى قطع الأسطول نيران مدافعها على المحروسة وهى ماضية بفاروق إلى المنفى!

والواقع أننا كنا لا نعلم بالتحديد نوايا السلاح المصرى, فتنظيم الضباط الأحرار بـــالرغم من نجاحه من تكوين تشكيلات فى جميع وحدات القوات المسلحة لم يكن على علاقة ما بضـــباط البحرية.

وكان "جمال عبد الناصر" قبل الثورة بأسبوعين, قد سافر إلى الإسكندرية فى إجازة, وهى لم تكن إجازة للراحة, بل سافر إلى الإسكندرية خصيصاً لكى يتصل بضباط البحرية, ولكى يخلق صلة بين بعضهم وباقى القوات المسلحة تمهيداً للقيام بالثورة.

وكانت مهمة صعبة إلى حد كبير.. فجميع إخواننا الضباط الذين ارتبطوا بـــالتنظيم فـــى جميع أسلحة الجيش كان من السهل خلق الصلة بيننا وبينهم سواء كانوا فى الطيران أو فى بـــاقى الوحدات, لأننا- جميعاً- كنا زملاء فى كلية واحدة.. هى كلية الحربية.

وأما بالنسبة لضباط البحرية فإن كليتهم لم توجد إلا بعد أن انتهينا من دراستنا وتخرجنا, فلم نكن نعرف أحدا من هؤلاء الضباط المعرفة التى تجعلنا نفاتحهم فى مثل هذه الأمور!

وكنت قد قلت من قبل إن ثورتنا هذه كان الأساس فى قيامهـــا قائمـــاً علـــى الصـــداقات وصلات الأخوة بين أعضاء التنظيم.. وقبيل أن توجد الهيئة التأسيسية للضباط الأحـــرار كانـــت الصداقات بيننا هى الدافع القوى والأول إلى التفاهم والاتفاق على عمل واحد.. ثم تحديد أهـــداف واحدة.

فقد كان مجرد الحديث عن هذه الأهداف بين الأفراد جريمة كبرى وخيانة يعاقب صاحبها عقابا صارما.

ومن أجل هذا كنا نحن- الأصدقاء- نتبادل الحديث حول ذلك العمل وتلك الأهـــداف دون أن نخشى افتضاح أمرنا, ومن أجل هذا أيضاً ظل الضباط الأحرار يعدون خطتهم ومشـــروعاتهم طوال عشر سنوات ولم يعرف أحد سرهم!

وأعود بك إلى موضوع البحرية فأقول إن "جمال" ظل فى الإسكندرية أياما قليلـــة وهـــو يحاول عمل حلقة اتصال مع ضباطها.. وبينما هو فى محاولته, إذ طلب إليـــه أعضـــاء الهيئـــة

التأسيسية العودة فوراً إلى القاهرة.. لأنه- كما قلت من قبل- قد وصل إلى علمنا أن الملك ينوى البطش بالضباط الأحرار بعد أن عرف أشخاصهم!

وترك "جمال" الإسكندرية قبل أن يتمكن من إيجاد الصلة بيننا وبين ضباط البحرية.

المفاجأة الثانية

تذكرت كل هذا وأنا جالس مع قائد البحرية ورؤساء الفروع فى رئاستهم, ولهذا كانت دهشتى كبيرة عندما قالوا لى: إن مراكب الأسطول الراسية فى الميناء ربما أطلقت مدافعها على المحروسة وهى تحمل الملك المخلوع إلى منفاه, وتناقشنا طويلاً حول هذه المشكلة, وقلت لهم: إن القيادة ارتبطت بوعد, ولابد من أن ينفذ وعد القيادة, لابد أن تخرج المحروسة سليمة إلى عرض البحر بمن عليها.

واستقر رأينا- كوسيلة لمنع ضرب المحروسة بالمدافع- أن نوزع أنفسنا على مراكب الأسطول.. أنا وقائد المحروسة ورؤساء الفروع, كل واحد منا يصعد على ظهر مركب من مراكب أسطولنا فى الميناء, على أن يكون كل واحد منا مسئولا عن منع ضباط البحرية من نسف المحروسة!

وجاءوا بأحد اللنشات ليحملنا إلى مراكب الأسطول الراسية فى الميناء.. وبينما كنت متأهباً للنزول إلى اللنش إذ دق جرس التليفون فى غرفة قائد البحرية, وقالوا لى إن القيادة تطلبنى.

كان "ذكريا محيى الدين"- مدير العمليات- هو الذى يتكلم.. قال لى إنه نما على علمه أن ضباط مدفعية السواحل قرروا ضرب المحروسة بالمدافع الساحلية الضخمة أثناء سفرها بالملك المخلوع, وهم لن يسمحوا لها بالخروج من الميناء!

وطلب منى "محيى الدين" أن اتصل بهم وأعمل الترتيب اللازم حتى ينفذ وعد القيادة!

وكانت مفاجأة ثانية فى ذلك اليوم.

فضباط الأسطول قد استطعنا أن نجد طريقة لمنعهم من نسف المحروسة.. فماذا نصنع لنمنع ضباط السواحل من إطلاق مدافعهم الضخمة الرهيبة؟!!

ولم أجد بدا من الاتصال تليفونيا بمندوب الضباط الأحرار فى مدفعية السواحل.. وشرحت للضابط الموقف ثم طلبت منه أن يتوجه بنفسه إلى جميع مواقع المدفعية الساحلية لكى يشرح للضابط الوضع بالتفصيل, ويقول لهم إن القيادة بكلمتها.. ولابد أن يخرج الملك المخلوع سليماً من البلاد.

وانتظرت بجوار التليفون, ولم يلبث مندوب الضباط الأحرار أن اتصل بى ليخبرنى أن كل شئ على ما يرام.. فقد استطاع إقناع ضباط مدفعية السواحل بعدم نسف المحروسة!

وبقى إقناع "جلال علوبة" بالسفر مع "فاروق" فهو كان قد رفض السفر عندما أخبرته بأمر القيادة أثناء وجودى فى رئاسة البحرية, لأنه خاف أن لا يسمح له بالعودة إلى مصر بعد توصيل "فاروق", لكنى أخذته إلى القيادة.. وهناك أقنعناه بأن عقليتنا لا يمكن أن تصل إلى هذا الحد.. فهو مصرى ومكلف بمأمورية.. وبالرغم من صداقته "لفاروق" فنحن لا يمكن أن نمنعه من العودة إلى بلده!

وبعد ذلك ركبنا اللنشات واتجهنا إلى مراكب الأسطول لنمنع ضباطه من نسف المحروسة!

وكان من نصيبى الطراد "فاروق" وهو أكبر قطعة من أسطولنا ومن العجيب أنه كان يقف تجاه المحروسة تماماً!

ووقفت على ظهر الطراد وبدأت أنظر إلى رأس التين بالمنظار البحرى المكبر.

واقتربت الساعة من السادسة.. وكنت لا أزال أتجه ببصرى نحو رأس التين.. وكنت أرى اللنشات وهى تتجه إلى المحروسة ثم تعود ثم تجئ إليها مرة ثانية.. وعلمت أنهم يحملونها بالمؤن وبمتاع الملك المخلوع استعداداً للرحيل.

وفى الساعة السادسة تماما نظرت من المنظار الكبير فرأيت علم "فاروق" فوق السارية أمام رأس التين وقد أنزل.. ثم رأيتهم.. رأيت "فاروق" ومن حوله المودعون من نساء ورجال, ولم أميزهم جيدا بالمنظار, وإن كنت عرفت فيما بعد أنه كان من بين هؤلاء المودعين "على ماهر" والسفير الأمريكى وشقيقته "فوزية".

وظللت فى مكانى فوق الطراد "فاروق" أحملق فى المنظار المكبر وأشهد أمامى نهاية ملك.. بل نهاية نظام.

ورأيت "فاروقاً" بجسمه الضخم يستقل اللنش إلى المحروسة, وكان يرتدى بذلة بحرية بيضاء ويقف على مقدمة اللنش.. وخيل إلى أنه يريد أن يبدو شجاعا فى لحظاته الأخيرة, وهو يغادر أرض الثورة.

وكانت اللنشات تروح وتجئ فى الميناء منذ الصباح حتى ساعة الرحيل, وتقترب تلك اللنشات من رأس التين ثم تدور حول المحروسة.. فكل الناس يريدون مشاهدة الفصل الأخير من رواية "فاروق الأول".. بعد أن شهدوا كل فصول الرواية وضاقوا بها.

وكانت "ناريمان" وبنات "فاروق" قد وصلن إلى المحروسة قبل الساعة السادسة..

وقبل أن يمر اللنش الذى يحمل الملك المخلوع أمام الطراد الذى كنت فوقه سمعت طلقات رصاص.. وبحلقت فى المنظار وقد انتابنى شعور بالفزع.. وخيل إلى أن أحداً أطلق الرصاص على "فاروق".. وبهذا تكون القيادة قد أخلفت وعدها.

ثم عرفت– فى الحال– أن أحد اللنشات اقترب من "لنش" الملك المخلوع وكان فيه صحفيون مصريون جاءوا ليلتقطوا صوراً "لفاروق" ساعة رحيله عن مصر.. وما كاد "فاروق" يراهم وهم يقتربون منه حتى "تهيج" وصرخ بصوت عال وسبهم بشتائم مقذعة, فما كان من حرس خفر السواحل الذين كانوا فى "لنش" يسير بهم محاذياً للنش "فاروق" إلا أن أطلقوا النار للإرهاب.. وانطلق لنش الصحفيين بعيداً.

ووصل "فاروق" إلى المحروسة, ورأيته يصعد درجات السلم ثم يقف بعد ذلك فى الممشى فوق ظهر اليخت.. وكأنه ينتظر وصول أحد.

وبعد فترة قصيرة جداً جاء لنش أخر يحمل "نجيب" و"جمال سالم", و"حسين الشـــافعى".. وكان من المفروض أن يودعوا "فاروقاً" من "مرسى" سراى رأس التين قبل رحيله لكنهم تأخروا.. واقتربت الساعة من السادسة فاستقل "فاروق" اللنش على الفور كما ينص الإنذار الذى تلقاه.

وجاء "محمد نجيب", و"جمال سالم", و"حسين الشافعى" إلى المحروسة لتوديعه, ورأيـــتهم يقفون مع "فاروق", وظللت أبحلق فيهم بمنظارى لكنى لم أكن أسمع حديثهم.. ثـــم مـــا لبثـــوا أن غادروا المحروسة.

وكان أمر القيادة يقضى بأن يؤدى الطراد "فاروق" آخر تحية للملك المخلوع والمحروسة فى طريقها إلى المنفى, وطلبت من قائد الطراد أن يؤدى تلك التحية... فبدأت المـــدافع تنطلـــق.. وأطلقوا واحداً وعشرين مدفعاً, وكانت المحروسة خلال الطلقات تنسحب إلى الخلف لكى تغـــادر "البوغاز" ثم تمضى بعد ذلك بعيداً عن أرض الثورة.

نمت على باب القيادة

وظللت أتابع "المحروسة" بالمنظار إلى أن غابت عن عينى, وهنا تلفت حولى لأجد ضباط الطراد يحيطون بى وعلى وجوههم الفرحة الطاغية.. وفى هذه اللحظة فقـــط وبعـــد أن انتهـــت "العملية" شعرت بالتعب يطبق على كل جزء فى جسمى... وترنحت وكدت أســـقط فـــوق ظهـــر الطراد... فمنذ 23 يوليو حتى ذلك المساء لم أنم ولم أسترح... ولم أطمئن.

وكنت قبل رحيل المحروسة لا أشعر بتعب ولا بإرهاق.. وفجأة أصبحت لا أستطيع جر قدمى, حتى عندما أردت مغادرة الطراد لأعود إلى القيادة فى مصطفى باشا لم أستطع النزول من فوق السلم.. فأمسك بى ضباط الطراد وساعدونى حتى وصلت إلى اللنش.

ووصلت إلى مصطفى باشا, وكنت لا أزال أترنح.. ثم دخلت من باب القيادة أجر قـــدمى جراً كأنى مصاب بعشرات اللكمات والضربات, ورأيت إلـــى جـــوار البـــاب حجـــرة الضـــابط النوبتجى.. ولم يكن فيها أحد.. وبلا تفكير اتجهت إليها, وبحذائى وبثيابى المبللة بالعرق والتراب تمددت فوق الأرض لأستغرق فى نوم لم أذق أعمق منه أبداً.

مشكلة البنات والحيوانات

واستيقظت من نومى فى صباح اليوم التالى.. ووجدت نفسى أغادر القيادة فى مصـــطفى باشا وأتوجه إلى محل ألبان كنت أتردد عليه فى وقت ما أثناء هربى من البوليس.. وتناولت طعام الإفطار ثم عدت إلى القيادة وعلمت أن "جمال عبد الناصر" اتصل بنا فى المساء وطلب منـــا أن نعود اليوم إلى القاهرة.

وقد توجهت مع اللواء "محمد نجيب" إلى مستشفى الحرس, حيث زرنا الجنود السبعة الذين أصيبوا فى معركة رأس التين.. وصرفنا لهم مكافآت..

وأثناء وجودنا فى المستشفى جاء اللواء "عبد الله النجومى"... وكان معينا من قبل القيـــادة لتصفية السرايات الملكية وتسليمها للحكومة.

وخيل إلى أن "النجومى" فى ورطة.. وفعلاً بدأ يتحدث عن ورطته.. قال: إنه يوجد فـــى سراى المنتزه إحدى وعشرون فتاة من مختلف الجنسيات وهن كـــن يعملـــن وصـــيفات وســـألنا "النجومى" ماذا يصنع بهن الآن؟

ثم بدأ يتحدث عن مشكلة ثانية استعصت عليه وهى أن الحيوانات والغـــزلان والطيـــور الموجودة فى السرايات مطلوب لها طعام!

وطلب "النجومى" منا أن نحل المشكلتين, وحللنا مشكلة البنات الوصيفات بإخراجهن مـــن البلاد.. فترحل كل واحدة إلى بلدها.

أما مشكلة الحيوانات والغزلان فقد حلت بأن قلنا للنجومى إنها- أى الحيوانات- يمكن أن تأكل طعامها العادى الذى كان يؤتى لها به... إلى أن تتسلمها الحكومة.

وعدنا إلى القيادة بعد ذلك لنستعد للسفر إلى القاهرة.

وفى القيادة كانت تنتظرنا مفاجأة أخرى...

أول اجتماع للقيادة

كانت تنتظرنا مفاجأة فى القيادة "بمصطفى باشا".. وقد استبدت بنا الدهشة عنـــدما دخـــل "رشاد مهنا" علينا فى ذلك اليوم بعد رحيل "فاروق"!

وكنا– أو كنت أنا بالذات– لا أتوقع تلك المفاجأة إطلاقاً..

ماذا يريد هذا الرجل؟.. وما الذى جاء به أيضاً فى الإسكندرية؟

لا أحد كان يدرى.. فذلك الرجل لم يفهمه أحد تماماً, ولم يعرف أصدقاؤه أو أعداؤه أهدافه الحقيقية...

هل يريد أن يثير زوبعة هنا.. مثل تلك التى أثارها فى مبنى القيادة بكوبرى القبة؟! عندما جاء من العريش بدون إذن إلى القاهرة, وكان ضباط المدفعية لا يعلمون موقفه من الثورة, ورفضه الاشتراك فى العملية عندما بدأت بل بعد أن نجحت صباح 23 يوليو, ظل يرفض التعاون.. ثم فوجئ بأننا نجحنا نهائياً وأصبحنا فعلا نسيطر على الجيش وعلى البلد.. فأسرع إلى القاهرة وهو مذهول لا يكاد يصدق أن الثورة نجحت بدونه!.

ويومها– كما قلت– ظنه ضباط المدفعية أحد أقطاب الثورة فأحاطوا به هاتفين, ثم جاءوا به فى موكب هائل إلى القيادة فى كوبرى القبة, ولم نستطع أن نفسر لضباط المدفعية موقف "رشاد مهنا", لم نقل لهم: إن هذا الرجل ليس من الثوار, ليس واحداً منكم, فالمسألة لم تكن تحتمل, فقد كان من الحماقة إثارة خلافات فى يوم الثورة الأول...

تذكرت كل هذا وأنا أبحلق فى وجه "رشاد مهنا" عندما جاء إلينا فى الإسكندرية يوم طرد الملك ووقف فى الحجرة تائها مضطربا.

لقد شعرت عندما رأيته فى ذلك اليوم أن المتاعب فى طريقها إلينا إن لم تكن قد جاءت فعلاً!

ولم أتمالك مشاعرى كان لابد أن أحدد موقفى على الفور من ذلك الرجل, الذى لم يحدد إطلاقاً أهدافه أو معتقداته, ولا يستطيع إنسان أن يعتمد عليه.

وزاد فى إحساسى بالريبة منه ذلك الاضطراب البادى عليه.

كانت عيناه تتدحرجان فى جميع الاتجاهات وهو يتحدث إلينا...

لقد علم أن العرش قد سقط, ولم يشترك هو فى عملية إسقاطه, وعرف أنه قد أصبح فـــى مصر مئات الأبطال, وقادة فتح لهم التاريخ كل أبوابه وهو ليس واحداً منهم, فمكانه سيكون خلف تلك الأبواب.

وهاهو الآن أمامى فى تلك الحجرة بقيادة مصطفى باشا, إنى أراه جيداً فى تلك الصورة.. الإنسان الذى لم يعرف طريقه, وبالرغم من جهله بالطريق فهو يريد أن يصل سريعاً, وبأى ثمن!.

وظللت أتأمل فى "رشاد مهنا" وهو فى جلسته المضطربة أمامى فى مصطفى باشا وكمـــا قلت لم أتمالك مشاعرى فاقتربت منه ثم أخذته من ذراعه إلى ركن فى الحجرة.. وسألته:

- إيه يا "رشاد".. مالك؟!

ونظر إلى فى اضطراب أكثر.. فسألته فى هذه المرة بلهجة جافة إلى حد ما.. قلت له:

- عايز إيه يا "رشاد".. قول, إيه اللى أنت عايزه.. مالك كده.. مضطرب ليه؟!

- أنا مش عايز حاجة.. أنا جاى أبارك على الخطوات الموفقة دى..

"رشاد" يطلب إخراجى مع "جمال سالم"...

وقد تكلم "رشاد مهنا" يومها بصوت مهزوز, وكان طوال حديثه زائغ البصر..

ثم انشغلنا عنه بأمورنا.. وتركناه فى الحجرة تائها كما هو, ومن حوله أربعة جدران..

ولم أكن أدرى يومها أن حديثى الصريح معه سوف يفهمه على أساس أنى عدو له, حتى كان ذلك اليوم الذى ذهب فيه "جمال عبد الناصر" إلى "رشاد مهنا", وكان "رشاد" وقتها قد أقيل من منصبه كوصى للعرش.. وأراد "جمال" كعادته دائماً مع كل من تربطه بهم صلة مـــا.. صـــداقة كانت أم زمالة أو حتى تعرف عابر.. أقول أراد "جمال" أن يمد يده لرجل يعرفه, لا لأنه صاحب نفوذ فهو كان قد أصبح لا شئ, ولا لأنه فى حاجة إليه, بل لأنه قد عرفه فى فترة ما..

أراد "جمال" أن يمد "لرشاد مهنا" بعد خروجه من وصاية العرش فذهب إليه وقال له: إن من الممكن الاستفادة بخدماته لهذا فهو يعرض عليه أن يكون سفيرا لمصر فى أية دولة يختارها, وظن "رشاد مهنا" فى تلك اللحظة أن "جمال عبد الناصر" قد جاء إليه تائبا.. وأنه- أى "جمال" فى

حاجة شديدة إلى معونته, وأن الثورة لم يعد يمكنها السير بدونه... فقال "لجمال": أن لـــه شـــرطا أساسيا لقبول التعاون من جديد.. وهو أن يخرج "جمال سالم" و "أنور السادات" من القيادة..

واضطر "جمال عبد الناصر" أمام هذه المفاجأة أن يوضح "لرشاد مهنا" فى هدوء المسألة كلها.. فقال له.. أنه لم يأت إليه لأنه فى حاجة إلى التعاون معه, بل لكى يساعده.

وتكلم "جمال" معه بصراحة.. فاستعرض أمامه مواقفه من الثورة قبل قيامهـــا وبعـــد أن قامت, ثم بعد أن أصبح وزيرا ثم وصيا على العرش.. وخرج "جمال" من هذا كله بنتيجة واحدة, أعلنها فى هدوء أمام "رشاد مهنا".. وهى أن الوضع بالنسبة له أى– "رشاد"– هو أنه خرج علـــى الثورة, أما بالنسبة للاثنين اللذين طلب إبعادهما عن القيادة فهو العكس تماما..

ورفض "رشاد" بعد أن سمع رد "جمال عبد الناصر".. أقول رفض الوظيفة هذا ما عرفته بعد موقفى الصريح منه يوم طرد "فاروق", عندما فاجأنا بوجوده فى مصطفى باشا, ولنترك حديث "رشاد مهنا", "فرشاد" سوف نلتقى به كثيراً فى قصة ثورتنا وأعود إلى الموضوع..

كان علينا بعد أن رحل "فاروق" عن البلاد أن نعود فورا إلى القاهرة.. بعد أن اســـتدعانا "جمال" ليلة 26 يوليو.

وفى اليوم التالى– 27 يوليو– كنا فى القاهرة, وانعقد فى نفس اليوم أول اجتماع للهيئـــة التأسيسية للضباط الأحرار بعد قيام الثورة والاجتماع كان يرأسه "جمال عبد الناصـــر", وكـــان "جمال" قد انتخب مرتين رئيسا للهيئة بالإجماع كما سبق أن قلت...

ولم يحضر اللواء "نجيب" هذا الاجتماع لأنه لم يكن عضوا فى الهيئة وعندما بدأ اجتماع الهيئة كان اللواء "نجيب" فى مكتبه, ثم جاء إلينا وعندما رآنا مجتمعين عاد ثانية إلى مكتبه...

استقالة "جمال عبد الناصر"

وفى هذا الاجتماع– الأول– للهيئة التأسيسية بعد الثورة وقف "جمال عبد الناصر" وتكلـــم فقال: إنه يقدم استقالته من رئاسة الهيئة بعد أن انتهت أول مرحلة من كفاح الضباط الأحرار, ثم توجهت بالنصر ساعة أن طرد الملك... ومضى "جمال" يقول: إنه رأى حتما عليه أن يستقيل بعد

انتهاء تلك المرحلة من كفاحنا لكى يعطى فرصة لأعضاء الهيئة فينتخبوا رئيسا جديدا يواجه الأحداث القادمة.

وانتهى "جمال" من حديثه بأن أصر على تقديم الاستقالة..

وقد رفضت استقالة "جمال" بالإجماع, وطلب إليه الأعضاء أن يستمر فى عمله كرئيس للهيئة, ولكنه أصر على الاستقالة إصرارا تاما...

واضطررنا إلى إجراء انتخاب جديد, وتمت عملية الانتخاب فى اقتراع سرى- كالعادة- ففاز "جمال" بالإجماع.

موقف "خالد محيى الدين"

وبعد أن تمت عملية الانتخاب وبقى "جمال" رئيسا للهيئة وقف "خالد محيى الدين" وطلب الكلمة.. وتكلم فشرح موقفه.

قال "خالد": إنه يطلب من زملائه تنحيه عن عضوية الهيئة التأسيسية لأنه يدين بمبدأ معين, ولهذا فهو يخشى لو بقى فى الهيئة التأسيسية أن يصطدم معنا من أجل المبدأ الذى يدين به..

ومضى "خالد" يقول: إنه رأى منعا لأى خلاف- أن يعرض علينا تعيينه فى السلك السياسى, فيسافر إلى الخارج.

وقد دارت مناقشة طويلة بين الزملاء وبين "خالد", وكانت مناقشة عاطفية للغاية, ثم انتهت برفض انسحاب "خالد محيى الدين" من الهيئة.. أى استمرار التعاون معه..

اجتماعات فى الليل والنهار

وبعد ذلك توالت اجتماعات الهيئة التأسيسية, كنا نجتمع بصفة مستمرة, فى مبنى القيادة بكوبرى القبة, وتلك الاجتماعات المستمرة ليلا ونهارا كانت من أخطر اجتماعاتنا.. فهى اجتماعات كنا نعد فيها خطط المعارك القادمة التى لا مفر منها بعد أن أصبحنا نحن على المسرح, وبعد أن خرجنا من تحت الأرض ومن نطاق الاجتماعات السرية, والكفاح فى الخفاء إلى الكفاح

فى العلن مع الشعب جنبا إلى جنب.. وبلا "فاروق" والعالم كله كان لا يدرى شيئا عن أهدافنا بالتحديد.. والشعب أيضا.. لم يكن أحد يعرف ماذا بعد "فاروق"..

هل يبقى النظام كما هو, وتظل مصر تحكم بتاج أسرة "محمد على", وصاحب الجلالة "أحمد فؤاد الثانى"- الطفل- كان على عرش البلاد؟! بل لم يكن أحد فى مصر أو فى خارج مصر يعرف من نحن؟!

وهذا الذى حدث قد تم على أيدى من؟!

عرف الناس- فقط- فى مصر وفى خارج مصر أن اللواء "نجيب" هو قائد عام القوات المسلحة, وأنه الذى سيصنع المستقبل, لأنه هو الذى طرد فاروق فى ذلك اليوم من شهر يوليو!

الطريق نحو الديمقراطية

وقد يسألنى بعض الناس.. ولماذا اتخذتم هذا القرار؟! ما دمتم قد حققتم أخطر مرحلة فى كفاحكم, وطرد صاحب العرش عدو الملايين, فلماذا لم تخرجوا إلى الشعب بأشخاصكم وهو كان سيحملكم فوق رأسه مثلما حمل اللواء "نجيب"؟!

وأقول لهذا البعض: إننا لم نكن نريد حكما.. لم نكن نريد أن نكون أعضاء فى حكومة مصر, أو ساسة ضمن ساسة البلاد.. بل كانت كل أهدافنا هى تغيير نظام الحكم ولا يعنينا أن يحملنا الشعب على رأسه أم لا, بل الذى يعنينا هو أن يتطور هذا الشعب بعد تحطيم كل قيوده!

أما الزعامة والمجد والنفوذ والسلطان فإنها لم تكن من أهدافنا, ومنذ اللحظة الأولى حددنا لأنفسنا الطريق, فاللواء "نجيب" هو القائد والزعيم.. وهو كل شئ!

ونحن- كما سبق أن قلت- لسنا سوى جنود فى الثورة نحميها ونمهد أمامها الطريق لكى يصل الشعب إلى الحرية والعدالة الاجتماعية, وباختصار لكى يحكم الشعب فى النهاية نفسه بنفسه!

ذلك كان موقفنا بعد طرد "فاروق" فى ذلك اليوم من شهر يوليو عام 1952 وكان علينا أن نعمل فى الليل وفى النهار لكى نحقق النصر فى مراحل الكفاح القادمة. وفى كل اجتماع للهيئة التأسيسية كنا نتناقش لا حول الأهداف, فالأهداف مقررة ولا سبيل إلى تغييرها, بل حول وسائل

تحقيقها.. بعد أن أصبحنا نكافح جنبا إلى جنب فى العلن مع الشعب فى سبيل أعظم هدف وأخطره بالنسبة لحياة ملايين المصريين.. فى سبيل القضاء على المستعمر!

فهو- أى المستعمر- باق لم يطرد مع "فاروق".. والمعركة القادمة ستكون حتما معـــه.. فليس هناك فى طريق الحرية والعدالة والديمقراطية أمام الشعب سواه ويجب أن يزول..!

وكان الاستعمار فى تلك الأيام التاريخية من شهر يوليو قد فوجئ باللطمة التى أصـــابته عندما طرد "فاروق"...

وإنى أذكر أول معركة كانت بيننا وبين المستعمر.. أذكر اليوم الذى طرد فيه "فـــاروق" وكيف جاء إلينا سفير بريطانيا بالنيابة فى ذلك الوقت ليقابلنا فى القيادة بمصطفى باشا... قبل أن نعود إلى القاهرة.

كيف بدأت المعركة وكيف انتهت؟

دخل علينا القائم بأعمال السفارة فى مصطفى باشا وكنا مجتمعين, وكانت فى يده مـــذكرة مكتوبة على الآلة الكاتبة.. وبدأ يتكلم تماما مثلما كان سفير الاستعمار يتكلم قبل أحداث يوليو..

وقال نائب السفير لنا وهو يقرأ فى "المذكرة" سالفة الذكر إن لديه طلبات!

ثم مضى يقرأ "المذكرة" محددا تلك الطلبات وكانت:

أولاً: أن يعلن حظر التجول فى أنحاء مصر خوفا على أرواح الأجانب لأنه يخشى- على حد قوله- أن يفقد الشعب السيطرة على مشاعره من شدة الفرح فيعتـــدى- أى الشـــعب- علـــى المحلات والمؤسسات!

ثانياً: أن لا تحدث أية ثغرة فى نظام الحكم بعد خروج "فاروق" من البلاد, فيعلن مجلس وصاية على وجه السرعة..

ثالثاً: أن تحفظ حقوق أسرة "محمد على" وبالتالى حماية النظام الملكى فى البلاد!

وما كاد ينتهى من قراءة مذكراته حتى فوجئ "بجمال سالم" وبى.. ونحن نتحداه ونســـخر من طلباته..

قلنا له: ما دخل بريطانيا فى مثل هذه الأمور, وهى أمور داخلية بحتة تخص الشعب المصرى لا الإنجليزى, وقلنا له: إنه ليس لبريطانيا أو لغيرها أن تتدخل فى مثل هذه المسائل لأن هذا الزمن الذى كان لبريطانيا وغيرها من الدول حق تقديم طلبات فيه, قد انتهى ساعة أن تحركت "المحروسة" حاملة فاروق إلى منفاه..

الموقف فى مصر بعد "فاروق"..!

وكانت فرصة لكى نلقى على ممثل بريطانيا أول درس بليغ وبعد أن ألقينا على نائب السفير الإنجليزى ذلك الدرس رأيناه يتراجع بسرعة عن موقفه, وقال على الفور وبلهجة ناعمة وعلى فمه ابتسامة وديعة:

– أرجو أن تعتبروا زيارتى هذه ودية, وهى زيارة للصداقة وللنصح لا غير..!

وطلب– رسميا– أن نعتبر أن هناك طلبات من بريطانيا, وأن حكومته لم تكلفه بهذه الزيارة على الإطلاق, وهو قد فعل ما فعل كصديق!

وقاطعناه قائلين:

– ولكنك كنت تقرأ من مذكرة فى يدك.. فما هى الحكاية؟!

ومد يده لنا بالمذكرة وكانت تحوى تلك الطلبات.. وقال وهو يحاول تفسير موقفه: إنه فعلا كتب تلك المذكرة بنفسه لكى يتذكر ما سوف ينصحنا به كصديق.

ولم يتركنا نائب السفير يومها إلا بعد أن أكد لنا أكثر من مرة أنه ما جاء إلا كصديق, وأن المسألة ليست تبليغا رسميا من بريطانيا.. وقال: إنه يسحب كل ما قاله لنا, وطلب منا أن ننسى ما حدث.. ثم خرج! تلك كانت أول معركة بيننا وبين بريطانيا, وحدثت يوم طرد الملك.. وكانت زيارة القائم بأعمال السفارة– فى ذلك اليوم– قد سبقتها زيارات أخرى ومواكب أخرى عجيبة, وكانت كلها مواكب نفاق.. بعد أن عرف الساسة الباشوات أن "فاروق" قد رحل عن البلاد.